أحمد علي حيدر

مناطق أخرى وقصص ٢

الطبيب

جاهوفا

اهداء الى كل طبيب ساهم في شفاء المرضى دون مقابل
الى كل اطباء العالم الذين خدموا البشرية في الظروف الصعبة
الى كل الطلبة الطموحين ليكونوا اطباء
الى الدكتور المرحوم :حسن محمد مشيك
وشكر لكل من ساعدني بإنجاز هذا العمل
احمد حيدر
بيروت
نيسان ٢٠٢٢

L1 الوان للنشر والتوزيع

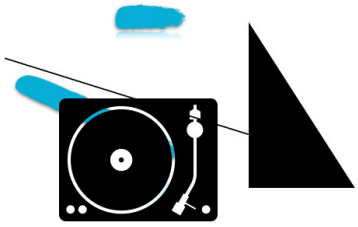

تمهيد

تبدأ قصتنا مع الطبيب الذي يقال عنه انه شافي لكل الجروح والاوجاع انه الاله الذي لايستعمل اية اداة حادة ليقطع او يجرح لكي يقوم بالعمليات الجراحية ، يعلم كل ما هو متاح له وكل ما هو متاح اجمالاً '.يجعل من مهنة الطب لعبة يلعبها مع مرضاه وهو يعاينهم ويشفي امراضهم لذلك سمي ب "جاهوفا "تيمنا بالاله السامي الذي يعبده الكثيرين وقد كتبت هذا الكتاب وفيه ما يجعل المرء يفكر فيما اكتب او يتأمل بالمهنة ملياً بعد ان اصبحت في الحضيض في الاعوام السابقة ، لعل من يبحث عن حل لمشكلة الطب يمكنه ان يجدها في الكتاب وفي هذه القصص التي جعلت من طبيبنا بطلاً يحتذى به وصديقاً للجميع ، الجميع يعلم ان مهنة الطب ممتعة ولكنها صعبة نوعا ما ولا تجعل من الانسان الا فرداً يقوم بروتين يومي في معاينة المرضى والتقليل من اوجاعهم وامراضهم وهذا امر بغاية الصعوبة ان تبقى على ما يرام صحياً ونفسيا بعد كل هذا الكم الهائل والجنون الذي يعيشه المجتمع ويتمتع به تمتعا هذا الانسان الذي قدر له ان يمرض او يضف او ييأس , ومن هذا المنطلق قررت ان اكتب عن هذا الطبيب ومغامراته الجنونية واللا منطقية ، فهي مضحكة الى حد ما ولكنها كما قلت سابقاً تبعث للتأمل والتفكر ، وطبيبنا هذا كان يعد معايناً منزلياً وطبيبا عند الحاجة ، يعاين ويذهب الى بيوت مرضاه ليعطيهم ويصف لهم الدواء بعد تشخيص الداء من خلال سرد ما مر على المريض من احداث فهو يعمل كطبيب نفسي الى جنب كونه طبيبا جسدياً ايضاً.

وتبدأ الحكاية

في صباح يوم جميل استيقظ الطبيب جاهوفا مبتسما على انه حل يوم جديد وما ان لحظات حتى سمع صوت الهاتف يرن اسرع ليرد فإذا بمساعده يطلب منه الاسراع فهناك حالة خاصة في المستشفى " كلب عض ولد صغير في رجله " فما كان من الطبيب ان جهز نفسه وطار الى المستشفى .

كان طفلاً صغيرا يبكي ويتألم من عضة الكلب ، عاين الطبيب جرحه وحمد الاه بأنه ليس عميقا جداً ، امر الطبيب بإعطائه طعم الكلب وجاء بالمضمدات وضمد جرح الصبي وأمر بإعطائه دواء التهابات ..

هكذا كان الطبيب يؤثر راحته ليشفي المرضى في القرية وكانت مهنته خط احمر ، يفعل المستحيل ليشفي المرضى ولا يتوانى لحظة في المساعدة واكثر الحالات كانت من الطبقة الفقيرة التي لا حول لها ولا قوة الا به ، فيبرز اسمه من بين الاطباء الذين لا يميزون بين فقير وغني ...

والطبيب جاهوفا امنية بأن يتزوج ويجلب الاطفال ولم يحالفه الحظ بأن يتعرف على انسة يحبها وتحبه

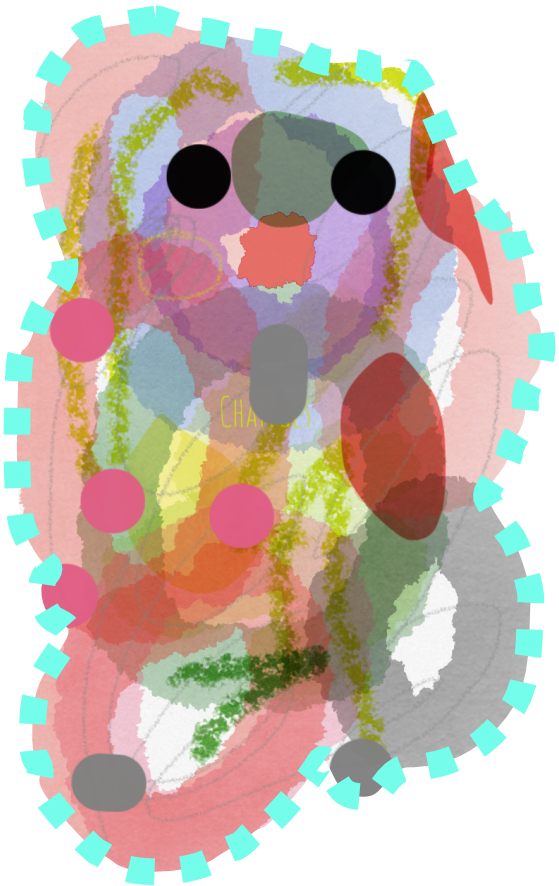

ويصادف عيد الميلاد بعد ان تم حجز ميعاد للعجوز روبنسون في طرف القرية فسارع الطبيب الى اخذ معداته والة فحص الضغط الى منزل العجوز ولكن ما ان وصل الطبيب الى المنزل حتى تراءى له خيال فتاة من بعيد ، وهي جميلة حسناء حفيدة العجوز الوحيدة ، فوصل اليها يسأل عن روبنسون وكأنما شده

القدر اليها ، فاجأته بحركتها وابتسامتها ولون عيونها الملون ، واخذ قلب الطبيب ينبض للحب وينبض له ، من هذه اللحظة تعرف على الحب ، كان عمله يأخذ منه كل وقته ، سألها عن روبنسون فأدخلته البيت ، ابتسم روبنسون عند ملاقاة الطبيب وشعر بحرارة اعجاب جاهوفا ب " راندا " حفيدته

ومر الوقت كانه سحر ، جاهوفا يفحص روبنسون وراندا تتفرج عليه وهو منكب في عمله ، يرمقها بنظراتها تارة وتارة اخرى يرمي بدعابة ما حول العجزة وما آلت اليه حياتهم ، انه العجوز وتعبه المتعارف عليه ، فقد يمضي سنوات شبابه يعمل في وظيفة ما او في مصنع يتعب ويكد ولا يجد الراحة وفي اخر المطاف يجد نفسه عرضة لامراض القلب والضغط والى ما هنالك من عراقيل نحو سعادته ، وهكذا هو روبنسون ، الذي عانى الامرين في سعادة ابنته راندا ، فقد توفيت زوجته وهو ما زال قوياً وابنته طفلة وقد سعى جاهدا لكي تكمل راندا تعليمها وتصبح موظفة في البريد .

مر وقت بعد ان فحص الطبيب ذاك العجوز المدلل كإنه سحر ، وقد تم ان شرب عندهم القهوة من يدين راندا التي ما برحت تنظر بإعجاب الى الطبيب جاهوفا وهي تقدم له الفنجان ، وهكذا وقع الاثنين في الحب من النظرة الاولى ، فإعتذر الطبيب على مغادرته بحجة ارتباطات عملية وذهب الى شقته ليختلي بنفسه ويفكر براندا ، وهكذا كانت راندا ايضاً تطلبه في مناسبات اخرى ليفحص ابيها العجوز لكي تتكلم معه ويتحدثون عن العائلة والعمل والحب وما الى ذلك من احاديث يختلقها من يتعارفون الى بعضهم في قصة حب ....

وجاءت الحرب ترمي بثقلها على ابناء القرية ، وجاء فرمان من السلطة بأن يلتحق الاطباء في الجيش لمساعدتهم في حربهم بصفة لوجيستية ووقع الاختيار على الطبيب جاهوفا لكي يكون جنديا هناك يعاين الجرحى وبالفعل فقد تم اخذه هو وغيره من الشباب الى

الحرب على حدود البلاد ، وكانت الحرب صعبة جدا اذ ان الاعداء يملكون اسلحة وطائرات كفيلة بضرب مدن اخرى ، والحرب كغيرها من الحروب ، حرب تجعل الاقوياء يتسلطون على الضعفاء وحرب لا طائل منها ، اذ ان الدول عندما تتصارع فإن الخاسر الاكبر هو الشعب .

ودع الطبيب حبيبته قبل ذهابه وتمنت له ان يعود بالسلامة اذ ان الحرب كانت على حدود البلد الشرقية ،قد تصبح عليه المسافات بعيده جدا لكي يأتي ويعود اليها بعد فترات قصيرة .

في الثكنة العسكرية كلنت اجواء الحرب تملاء وتصخب اذان الطبيب ، لقد كان الجرحى يأتون بالاليات العسكرية من الجبهة وهم في امس الحاجة الى اسعاف وقد كان للطبيب مساعد شاب اسمه جون نحيل الجسم يعرف في الامور الطبية اكثر مما يعرف عن الحياة

فسأله الطبيب يوما : ما هو السبب الذي جعلك تخدم في الجيش ايها الشاب ؟

فرد عليه الشباب وابتسامة تعلى وجهه : انه نداء الوطن ومن منا لا يحب ان يخدم وطنه

فرد عليه الطبيب : معك حق ، خدمة الوطن من افضل الاعمال التي

يثاب عليها الانسان وماذا تنتظر من بعد خدمتك للوطن ؟!

الشاب : لا انتظر شيئا بالمقابل سوى انني اسعد بهذه الخدمة واسعف المرضى معك

الطبيب : عافاك الله ايها الشاب ، انك من المجتهدين ..

لقد سببت الحرب خوف عميق لدى سكان القرية وما من بيت الا وقد كان له جندي في الجبهة ، لقد كان البريد الوسيلة الوحيدة للتواصل بين الجنود وذويهم في الحرب فكان كل نهار خميس يأتي ساعي البريد ليوزع الرسائل على اهل القرية فكان الانتظار بطابور طويل لمعرفة اوضاع الجنود وكانت راندا تنتظر رسالة من جاهوفا وتتمنى ان يراسلها وان لا يكون قد نسيها وبالفعل فقد كانت الرسالة الاولى من جاهوفا تقول :

عزيزتي راندا

دمتي بخير وكيف احوالك واحوال القرية ، لقد اشتقت الى القرية والى جو المستوصف ، والى كل السكان اشتقت لكم جميعاً نحن في حالة حرب ويحق للجميع ان يهتم بذويهم ويسأل عنهم، ماذا عن والدك لم يبقى احد لكي يطببه الآن اتمنى ان تنتهي الحرب واعاوده واراك ايتها الحسناء واستريح من هذا العناء الاجرف الذي نعيشه في مخيمات العسكر ، الحرب باتت شيئا منفراً للناس واصبحوا يطوقون الى السلام والطمأنينة ، لن الوذ بالفرار من المعركة ولكن ما العمل ،.

لقد فتحت الحرب للطبيب جاهوفا فرصة البقاء في قلب الطبيعة في المخيم ، ولهذا قد ابتاع كتابا للطب الاعشاب وبدء بالبحث عن المكونات في روابي البلدة المعسكرة ، فهو يستيقظ صباحا ويحمل اوعيته ويصعد الى التلة ويدخل الغابات بحثا عن اعشابه التي يستعملها لصناعة الدواء وهكذا فإن الطبيب قد اصبح محترفا في صناعة الادوية والعقاقير وزاد اهتمامه بهكذا نوع من الطب الذي يختلف عن ما يتعلمه الاطباء في الجامعات ..

وانتهت الحرب والقت اوزارها وعاد جاهوفا الى بلدته سالما بعد ان كانت هذه التجربة صعبة عليه وعلى واندا وابوها ، لقد تعلم الصبر اكثر مما تعلمه احد من قبله ، لم ينشأ صداقات بل اصبح اخ لكل جندي في المعركة وصار مضرب مثل للنزاهة والشجاعة ، عاد وانتهت الحرب التي ما ابقت شيئاً ولم يسلم منها احدا

عاد وفي قلبه حسرة على هذا الدمار والخراب الذي خلفته ، فلم يسلم بناء في المدينة الا وقد دمر بالقصف ، ولماذا هذا الهجوم الفظيع على البناء ان كان هناك حرب ستدمر كل

شيء ، لماذا شراء الاسلحة وزج الجنود في حرب غوغائية لا نتيجة لها ولا اثار الا سلبية على المجتمع والناس ، ولكن لا بد منها ، كانها شر يتربص بالناس والعزل ليفتك بهم ويبيح اراضيهم وممتلكاتهم واحلامهم امام الخصم ، كل هذه النقمة من الناس على الحروب لم تكن كافية ،،،

عاد ليجد الامور تغيرت في القرية ، لقد توفي العجوز والد راندا وهي ما زالت بحالة حداد عليه وتغير طبعها بعد ان انتبه عند زيارته لهم ، لقد اصبحت تضحك بصعوبة وتحمل مشقة الحياة بتعب وكد ، لا تمزح ولا تهادن عند ذكر الحرب التي انتهت ، ما زالت نجيد صنع الكعك المحلى وتقدمه بلباقة وطيبة ، وهذا ما جعل جاهوفا يعجب بها من جديد ولكن هذه المرة اصبح جديا اكثر وغير مازح او مراهق ..

وما فائدة الربح والفوز في الحروب ان كانت البلدان تدمر والناس تُهجّر وكل ما كنا نحلم فيه يختفي

انه الحسد الذي يجعل الناس تتقاتل ويجعلهم وحوش امام بعض ويلهب الحروب والمؤمرات ، كفانا حسد بعضنا البعض

فالطبيب موجود هو حي بيننا